

نزار قباني



كل عام  
وأنا  
ببيبي

نوفل

نزار قباني

كلَّ عامٍ وأنتِ  
حبيبتِي



جميع الحقوق محفوظة.

صدرت عام 2015 عن **نوفل**، دمغة الناشر هاشيت أنطوان  
الطبعة الثانية، 2017

© **هاشيت أنطوان ش.م.ل.**، 2015

سنّ الفيل، حرج ثابت، بناية فورست

ص. ب. 0656-11، رياض الصلح، 1107 2050 بيروت، لبنان

www.hachette-antoine.com info@hachette-antoine.com

facebook.com/HachetteAntoine twitter.com/NaufalBooks

لا يجوز نسخ أو استعمال أيّ جزء من هذا الكتاب في أيّ شكل من الأشكال أو بأيّ وسيلة من الوسائل –  
سواء التصويرية أو الإلكترونية أو الميكانيكية، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة  
أو سواها وحفظ المعلومات أو استرجاعها – من دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

تصميم الغلاف والداخل: **بسكال زغبى**

اقتباس التصميم: **ماري تريمز مرعب**

متابعة النشر: **نجلا رعيدي شاهين**

ر.د.م.ك. (النسخة الورقية): 978-9953-26-897-2

ر.د.م.ك. (النسخة الإلكترونية): 978-614-438-455-8

# حُبُّ إِسْتِنَائِي.. لامرأةٍ إِسْتِنَائِيَّة

١

أكثرُ ما يعدُّبني في حُبِّك..  
أنتي لا أستطيع أن أحبِّك أكثر..  
وأكثرُ ما يضايقني في حواسِّي الخمس..  
أنها بقيتُ خمسًا.. لا أكثر..  
إنَّ امرأةً إِسْتِنَائِيَّةً مثلكِ  
تحتاجُ إلى أحاسيسِ إِسْتِنَائِيَّة..  
وأشواقِ إِسْتِنَائِيَّة..  
ودموعِ إِسْتِنَائِيَّة..  
وديانةٍ رابعة..  
لها تعاليمُها، وطقوسُها، وجنَّتها، وناؤها.  
إنَّ امرأةً إِسْتِنَائِيَّةً مثلكِ..  
تحتاجُ إلى كُتُبٍ تُكْتَبُ لها وحدها..  
وحزنٍ خاصٍ بها وحدها..  
وموتٍ خاصٍ بها وحدها  
ورَمَنٍ بملايين العُرف..  
تسكنُ فيه وحدها..  
لكنني والأسفاة..

لا أستطيع أن أعجنَ الثواني  
على شكل خواتم أضعها في أصابعك  
فالسنةُ محكومةٌ بشهورها  
والشهورُ محكومةٌ بأسابيعها  
والأسابيعُ محكومةٌ بأيامها  
وأيامى محكومةٌ بتعاقب الليل والنهار  
في عينيكِ البتفسجيتينِ..

٢

أكثرُ ما يعدّبنى في اللغة.. أنّها لا تكفيكِ..  
وأكثرُ ما يضايقنى في الكتابة أنّها لا تكتبُكِ..  
أنتِ امرأةٌ صعبةٌ..  
أنتِ امرأةٌ لا تُكتبُ..  
كلماتى تلهتُ كالخيول على مرتفعاتكِ..  
ومفرداتى لا تكفى لاجتياز مسافاتكِ الضوئية..  
معكِ لا توجدُ مشكلة..  
إنّ مشكلتى هي مع الأبدية..  
مع ثمانٍ وعشرين حرقاً، لا تكفينى لتغطية بوصة واحدةٍ من مساحات أنوثتكِ..  
ولا تكفينى لإقامة صلاة شكرٍ واحدةٍ لوجهك الجميل..  
إنّ ما يحزننى في علاقتى معكِ..  
أنتكِ امرأةٌ متعدّدة..  
واللغةُ واحدة..  
فماذا تقترحين أن أفعلُ؟

كي أتصالح مع لغتي..  
وأزِيلَ هذه العُرْبَةَ..  
بين الخَرْفِ، وبين الأصابعِ  
بين سطوحكِ المصقولة..  
وعَرَبَاتِي المدفونةِ في الثلجِ..  
بين محيطِ خصرِكِ..  
وطُموحِ مراكبي..  
لاكتشافِ كرويةِ الأرضِ..

### ٣

ربما كنتِ راضيةً عني..  
لأنني جعلتكِ كالأميراتِ في كُتُبِ الأطفالِ  
ورسمتُكِ كالملائكةِ على سقوفِ الكنائسِ..  
ولكنني لستُ راضيًا عن نفسي..  
فقد كان بإمكانني أن أرسمكِ بطريقةٍ أفضلِ.  
وأورِّعَ الوردَ والدَّهَبَ حولِ إيتيِّكِ.. بشكلٍ أفضلِ  
ولكنَّ الوقتَ فاجأني.  
وأنا معلقٌ بين النحاسِ.. وبين الحليبِ..  
بين النعاسِ.. وبين البحرِ..  
بين أظافرِ الشهوةِ.. ولحمِ المرايا..  
بين الخطوطِ المنحنيةِ.. والخطوطِ المستقيمةِ..  
ربما كنتِ قانعةً، مثل كلِّ النساءِ،  
بأيةِ قصيدةٍ حبِّ. تُقالُ لكِ..

أما أنا فغير قانع بقناعاتك..  
فهناك مئات من الكلمات تطلب مقابلي..  
ولا أقابلها..  
وهناك مئات من القصائد..  
تجلس ساعات في غرفة الإنتظار..  
فأعذر لها..  
إثني لا أبحث عن قصيدةٍ ما..  
لامرأةٍ ما..  
ولكنني أبحث عن "قصيدتك" أنت..

## ع

إثني عاتبٌ على جسدي..  
لأنه لم يستطع ارتداءكٍ بشكل أفضل..  
وعاتبٌ على مسامات جلدي..  
لأنها لم تستطع أن تمتصكٍ بشكل أفضل..  
وعاتبٌ على فمي..  
لأنه لم يلتقط حبات اللؤلؤ المتناثرة على امتداد شواطئكٍ بشكلٍ أفضل..  
وعاتبٌ على خيالي..  
لأنه لم يتخيّل كيف يمكن أن تنفجر البروق، وأقواسُ قُزحٍ..  
من نهدين لم يحتفلا بعيد ميلادهما الثامن عشر..  
بصورةٍ رسميّةٍ..  
ولكن.. ماذا ينفع العتب الآن..  
بعد أن أصبحت علاقتنا كبرتقالةٍ شاحبة،

سقطت في البحر..  
لقد كان جسدي مليئاً باحتمالات المطر..  
وكان ميزانُ الزلازلُ  
تحت سُرتكِ المستديرةِ كغم طفلٍ..  
يتنبأُ باهتزاز الأرض..  
ويعطي علامات يوم القيامة..  
ولكنني لم أكن ذكياً بما فيه الكفاية..  
لألتقط إشارتكِ..  
ولم أكن مثقفاً بما فيه الكفاية..  
لأقرأ أفكار الموج والزبدُ  
وأسمع إيقاعَ دورتكِ الدموية..

## ٥

أكثر ما يعدُّبني في تاريخي معكِ..  
أنتي عاملتكِ على طريقة بيدبا الفيلسوف..  
ولم أعاملِكِ على طريقة رامبو.. وزوربا..  
وفان كوخ.. وديك الجن.. وسائر المجانينِ  
عاملتكِ كأستاذ جامعي..  
يخافُ أن يُحبَّ طالبتَه الجميله..  
حتى لا يخسرَ شرفَه الأكاديمي..  
لهذا أشعر برغبةٍ طاغية في الاعتذار إليك..  
عن جميع أشعار التصوف التي أسمعكِ إيّاها..  
يوم كنتِ تأتيين إلي..

ملئته كالسنبله..

وطازجة كالسمكة الخارجة من البحر..

٦

أعتذر إليك..

بالنيابة عن ابن الفارض، وجلال الدين الرومي، ومحي الدين بن عربي..

عن كلّ التنظيرات.. والتهويمات.. والرموز..

والأقنعة التي كنتُ أضعها على وجهي، في غرفة الحُب..

يوم كان المطلوبُ مني..

أن أكونَ قاطعًا كالشفرة

وهجوميًا كفهدٍ إفريقي..

أشعرُ برغبة في الإعتذار إليك..

عن غبائي الذي لا مثيلَ له..

وجبني الذي لا مثيلَ له..

وعن كلِّ الحُكم المأثورة..

التي كنتُ أحفظها عن ظهر قلب..

وتلوّثها على نهديكِ الصغيرين..

فبكيا كطفلينِ معاقبين.. وناما دون عشاء..

٧

أعترفُ لكِ يا سيّدي..

أنكِ كنتِ امرأةً إستثنائيةً

وأنَّ غبائي كان إستثنائيًا..

فاسمحي لي أن أتلو أمامك فِعْلَ الندامة  
عن كلِّ مواقف الحكمة التي صدرت عني..  
فقد تأكّد لي..  
بعدما خسرتُ السباق..  
وخسرتُ نقودي..  
وخيولي..  
أنّ الحكمة هي أسوأ طَبَقٍ نقدّمه..  
لامرأةٍ نُحِبُّها..

# في الحُبِّ البحريّ..

١

مواقفي منك، كمواقف البحر..  
وذاكرتي مائيّة كذاكرته..  
لا هو يعرف أسماء مرافئه..  
ولا أنا أتذكّر أسماء زائرتي  
كلُّ سمكةٍ تدخل إلى مياهي الإقليميّة، تذوب..  
كلُّ امرأةٍ تستحمُّ بدمي، تذوب..  
كلُّ نهديّ، يسقط كالليرة الذهبيّة..  
على رمال جسدي.. يذوب..  
فلتكنْ لكِ حكمةُ السُّفنِ الفينيقيّةِ  
وواقعيّةُ المرافىء التي لا تتزوَّج أحدا..

٢

كلّما شمّ البحرُ رائحةَ جسمكِ الحليبيّ  
صهَلَ كحصانٍ أزرقٍ  
وشاركتهُ الصهيل..  
هكذا خلقني الله..  
رَجُلًا على صورة بحرٍ

بحرًا على صورة رَجُلٍ  
فلا تناقشيني بمنطق زارعي العُتَب والجنطة..  
ودكاترة الطبِّ النفسي..  
بل ناقشيني بمنطق البحرِ  
حيث الأزرقُ يُلغي الأزرقُ  
والأشعةُ تُلغي الأفقُ..  
والقبلةُ تُلغي الشَّقه..  
والقصيدةُ تُلغي ورقةَ الكتابِ..

### ٣

إحساسي بكِ متناقضٌ، كإحساس البحرِ  
ففي النهار، أغمرِك بمياه حناني  
وأُعطِيكِ بالغيم الأبيض، وأجنحة الحمائمِ  
وفي الليل..  
أجتاحكِ كقبيلةٍ من البرابرة..  
لا أستطيع، أيُّها المرأة، أن أكونَ بحرًا محايدًا..  
ولا تستطيعين أن تكوني سفينةً من ورقٍ..  
لا أنتِ أنديرا غاندي  
ولا أنا مقتنعٌ بجدوى الحياد الإيجابي  
ففي الحبِّ.. لا تُوجد مصالحتٌ نهائيةً..  
بين الطوفان، وبين المدن المفتوحة..  
بين الصواعق، ورؤوس الشَّجَرِ  
بين الطعنة، وبين الجرحِ

بين أصابعي، وبين شَعْرِكَ  
بين قصائد الحب.. وسيوفِ قُرَيْشٍ  
بين ليبرالية نهديك..  
وتحالفِ أحزاب اليمين!!..

## ع

أيتها الخارجة من خرائط العطش والغبار..  
تخلصي من عاداتك البرية..  
فالعواطف البرية تعبر عن نفسها..  
بايقاع واحد.. ووتيرة واحدة..  
أما الحب في البحر.. فمختلف.. مختلف.. مختلف..  
فهو غير خاضع لجاذبية الأرض..  
وغير ملتزم بالفصول الزراعيه..  
وغير ملتزم بقواعد الحب العربي  
حيث أجساد الرجال تنفجر من التخمه..  
ونهود النساء تتائب من البطالة..

## و

أدخلي بحري كسيف من النحاس المصقول  
ولا تقرأي تشرات الطقس  
وئبوءات مصلحة الأرصاد الجوية  
فهي لا تعرف شيئاً عن مزاج البحر  
ولا تعرف شيئاً عن مزاج سمك القرش

ولا تعرفُ شيئاً عن مزاجي..  
لا أريدُ أن أعطيكِ ضماناتٍ كاذبَةً  
ولا أرغب أن أشتغلَ حارسًا لجواهر التاجِ  
إنَّ نهديكِ لا يدخلان في حدود مسؤولياتي  
فأنا لا أستطيع أن أضمنَ مستقبلهما..  
كما لا يستطيعُ البرقُ أن يضمنَ مستقبلَ غابه..

٦

لماذا تبحثينَ عن الثباتِ؟  
حين يكونُ بوسعنا أن نحتفظَ بعلاقتنا البحريةَ  
تلكَ التي تتراوَحُ بين المدِّ.. والجَزْرِ  
بين التراجع والافتحامِ  
بين الحنان الشامل، والدمار الشاملِ..

لماذا تبحثينَ عن الثباتِ؟  
فالسَّمكةُ أرقى من الشجرةِ..  
والسَّنَجَابُ.. أهمُّ من الغصنِ..  
والسحابة.. أهمُّ من نيويوركِ..

٧

أريدكِ أن تتكلمي لغةَ البحرِ..  
أريدكِ أن تلعبِي معهُ..  
وتتقلبي على الرملِ معهُ..  
وتمارسي الحبَّ معهُ..

فالبحرُ هو سيِّدُ التَّعدُّدِ.. والإِخصابِ.. والتحوُّلاتِ..  
وأنوثنُكِ هي امتدادٌ طبيعيٌّ له..  
نامي مع البحر، يا سيِّدتي..  
فليس من مصلحتكِ أن تكوني من فصيلة الشجرِ..  
ولا من مصلحتي أن أُحوِّلكِ إلى جريدةٍ مقروءةٍ  
أو إلى رِبطةٍ عُتُقٍ معلقةٍ في خزانتي  
منذُ أن كنتُ طالبًا في الجامعة..  
ليس من مصلحتكِ أن تتزوَّجيني..  
ولا من مصلحتي أن أكون حاجبًا على باب المحكمة الشرعيَّة..  
أتقاضى الرِّشواتِ من الداخلينِ  
وأتقاضى اللِّعَناتِ من الخارجينِ..

٨

أنا بحرُكِ يا سيِّدتي..  
فلا تسأليني عن تفاصيل الرحلة..  
ووقتِ الإقلاعِ والوصولِ..  
كلُّ ما هو مطلوبٌ منكِ..  
أن تنسي غرائزكِ البرِّيَّة..  
وتُطيعي قوانينَ البحرِ..  
وتخترقيني.. كسمكةٍ مجنونةٍ..  
تشطُرُ السفينةَ إلى نصفينِ..  
والأفقَ إلى نصفينِ..  
وحياتي إلى نصفينِ..

# أقرأ جَسَدَكَ .. وأتثَقِّفُ..

١

يومَ توقّف الحوازِ بين نهديكِ المغتسلينِ بالماءِ..  
وبين القبائلِ المتقاتلة على الماءِ..  
بدأتْ عَصُورُ الإنحطاطِ..  
أعلنتِ الغيومُ الإضرابَ عن المطرِ  
لمدّة خمسمئة سنة..  
وأعلنتِ العصافيرُ الإضرابَ عن الطيرانِ  
وامتنعتِ السنابلُ عن انجاب الأولادِ  
وصار شكلُ القمرِ كشكلِ زجاجة النفطِ..

٢

يومَ طردوني من القبيلةِ..  
لأني تركتُ قسيدهً على باب خيمتكِ..  
وتركتُ لكِ معها وردةً..  
بدأتْ عَصُورُ الإنحطاطِ..  
إنَّ عَصُورَ الإنحطاطِ ليست الجهلَ بمبادئ النحو والصرفِ..  
ولكنّها الجهلُ بمبادئ الأنوثةِ..  
وشطبُ أسماءِ جميع النساءِ من ذاكرةِ الوطنِ..

### ٣

آه يا حبيبتى..  
ما هو هذا الوطن الذي يتعامل مع الحبّ..  
كشرطيّ سيّر؟..  
فيعتبر الوردّة مؤامرةً على النظام..  
ويعتبر القصيدة منشورًا سرّيًا ضده..  
ما هو هذا الوطن المرسوم على شكل جرادة صفراء..  
تزحف على بطنها من المحيط إلى الخليج..  
من الخليج إلى المحيط..  
والذي يتكلّم في النهار كقدّيس..  
ويدوخ في الليل على سُرّة امرأة..

### ٤

ما هو هذا الوطن؟..  
الذي ألغى مادّة الحبّ من مناهجه المدرسيّة..  
وألغى فنّ الشعر..  
وعيون النساء..  
ما هو هذا الوطن؟  
الذي يمارسُ العدوانَ على كل غمامةٍ ماطره  
ويفتح لكلّ نهدٍ ملقًا سرّيًا..  
ويُنظّم مع كلّ وردةٍ محضّر تحقيق!!

### ٥

يا حبيبتى..  
ماذا نفعلُ في هذا الوطن؟  
الذي يخاف أن يرى جسده في المرأة..  
حتى لا يشتهي..  
ويخاف أن يسمع صوت امرأةٍ في التلفون..  
حتى لا يُنْقَصَ وُضوءُهُ..  
ماذا نفعلُ في هذا الوطن؟  
الذي يعرف كلَّ شيءٍ عن ثورة أكتوبر..  
وثورة الرِّجِّ..  
وثورة القرامطة..  
ويتصرّف مع النساء كأنه شيخ طريقه..  
ماذا نفعلُ في هذا الوطن الضائع..  
بين مؤلّفات الإمام الشافعي.. ومؤلّفات لينين..  
بين المادّيّة الجدليّة.. وصور (البورنو)..  
بين كتب التفسير.. ومجلّة (البلاي بوي)..  
بين فرقة (المعتزلة).. وفرقة (البيتلز)..  
بين رابعة العدويّة.. وبين (إيمانويل)..

٦

أيتها المدهشة كالألعاب الأطفال  
إتني أعتبر نفسي متحصّراً..  
لأني أحبُّك..  
وأعتبر قصائدي تاريخيّة.. لأنها عاصرتك..

كُلُّ زَمَنِ قَبْلَ عَيْنِيكَ هُوَ احْتِمَالٌ  
وَكُلُّ زَمَنِ بَعْدَهُمَا هُوَ شِطَايَا..  
فَلَا تَسْأَلِينِي لِمَاذَا أَنَا مَعَكَ..  
إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُخْرَجَ مِنْ تَخَلُّفِي..  
وَأَدْخَلَ فِي زَمَنِ الْمَاءِ..  
أُرِيدُ أَنْ أَهْرَبَ مِنْ جُمْهُورِيَّةِ الْعَطَشِ..  
وَأَدْخَلَ جُمْهُورِيَّةِ الْمَانُولِيَا..  
أُرِيدُ أَنْ أُخْرَجَ مِنْ بَدَوَاتِي..  
وَأَجْلِسَ تَحْتَ الشَّجَرِ..  
وَأَغْتَسِلَ بِمَاءِ الْيُنَابِيْعِ.  
وَأَتَعَلَّمَ أَسْمَاءَ الْأَزْهَارِ..  
أُرِيدُ أَنْ تَعَلِّمَنِي الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ..  
فَالْكِتَابَةُ عَلَى جَسَدِكَ أَوَّلُ الْمَعْرِفَةِ..  
وَالدَّخُولُ إِلَيْهِ دُخُولٌ إِلَى الْحَضَارَةِ..  
إِنَّ جَسَدَكَ لَيْسَ ضِدَّ الثَّقَافَةِ..  
وَلَكِنَّهُ الثَّقَافَةُ..  
وَمَنْ لَا يَقْرَأُ دَفَاتِرَ جَسَدِكَ..  
يَبْقَى طَوَّلَ حَيَاتِهِ.. أُمِّيًّا..

# كلَّ عامٍ وأنتِ حبيبتِي..

١

كلَّ عامٍ وأنتِ حبيبتِي..  
أقولُها لكِ،  
عندما تدقُّ الساعةُ منتصفَ الليلِ  
وتغرقُ السنَّةُ الماضيَّةُ في مياهِ أحزاني  
كسفينةٍ مصنوعةٍ من الورقِ..  
أقولُها لكِ على طريقي..  
متجاوزًا كلَّ الطقوسِ الإحتفاليَّةِ  
التي يمارسها العالم منذ ١٩٧٥ سنة..  
وكاسرًا كلَّ تقاليدِ الفرحِ الكاذبِ  
التي يتمسكُ بها الناس منذ ١٩٧٥ سنة..  
ورافضًا..  
كلَّ العباراتِ الكلاسيكيَّةِ..  
التي يرُدُّها الرجالُ على مسامعِ النساءِ  
منذ ١٩٧٥ سنة..

٢

كلَّ عامٍ وأنتِ حبيبتِي..

أقولها لك بكل بساطه..  
كما يقرأ طفلُ صلاته قبل النوم  
وكما يقف عصفورٌ على سنبلة قمح..  
فتزدادُ الأزاهيرُ المشغولةُ على ثوبك الأبيض..  
زهرةً..

وتزداد المراكبُ المنتظرةُ في مياه عينيك..  
مركبًا..

أقولها لك بحرارةٍ وترقُّ  
كما يضربُ الراقصُ الإسبانيُّ قدمه بالأرضِ  
فتتشكّلُ ألوفُ الدوائرِ  
حولَ محيط الكرة الأرضية..

.....

.....

.....

### ٣

كلّ عامٍ وأنتِ حبيبتي  
هذه هي الكلماتُ الأربعُ..  
التي سألقُها بشريطٍ من القصبِ  
وأرسلها إليك ليلة رأس السنة.  
كلُّ البطاقات التي يبيعونها في المكتباتِ  
لا تقولُ ما أريده..  
وكلُّ الرسوم التي عليها..

من شموعٍ.. وأجراسٍ.. وأشجارٍ.. وكُراتٍ تلجُ..  
وأطفالٍ.. وملائكةٍ..  
لا تناسِبُنِي..  
إِنِّي لا أرتاح للبطاقات الجاهزه..  
ولا للقصائد الجاهزه..  
ولا للتمنيّات التي يرسم التصديرُ  
فهي كُلُّها مطبوعة في باريس، أو لندن، أو أمستردام..  
ومكتوبَةٌ بالفرنسيّة، أو الإنكليزيّة..  
لتصلحَ لكلِّ المناسباتِ  
وأنتِ لستِ امرأةً المناسباتِ..  
بل أنتِ المرأةُ التي أُحِبُّها..  
أنتِ هذا الوجعُ اليوميُّ..  
الذي لا يُقالُ ببطاقاتِ المُعَايَدَةِ..  
ولا يُقالُ بالحُرُوفِ اللاتينيّةِ..  
ولا يُقالُ بالمُراسلَةِ..  
وإنّما يُقالُ عندما تدقُّ الساعةُ منتصفَ الليلِ..  
وتدخلين كالسمكةِ إلى مياهي الدافئة..  
وتستحمّين هناكُ..  
ويسافِرُ فمي في غاباتِ شَعْرِكِ العَجْرِيّ  
ويستوطنُ هناكُ..

ع

لأنني أُحِبُّكِ..

تَدْخُلُ السَّنَةَ الْجَدِيدَةَ عَلَيْنَا..  
دخولَ الملوِكِ..  
ولأني أُحِبُّكَ..  
أحملُ تصرِيحًا خاصًا من الله..  
بالتجولِ بين ملايين النجوم..

٥

لن نشتري هذا العيد شَجَرَهُ  
ستكونين أنتِ الشَجَرَهُ  
وسأعلقُ عليكِ..  
أمنياتي.. وصلواتي..  
وقناديلَ دموعي..

٦

كلَّ عامٍ وأنتِ حبيبتِي..  
أمنيةٌ أخافُ أن أتمنّاها  
حتى لا أُنَبِّهَهُمَ بالطمعِ أو بالغرورِ  
فكرةٌ أخافُ أن أفكرُ بها..  
حتى لا يسرقها الناسُ منِّي..  
ويزعموا أَنَّهُمُ أوَّلُ من اخترعَ الشُّعْرَ..

٧

كلَّ عامٍ وأنتِ حبيبتِي..  
كلَّ عامٍ وأنا حبيبيكِ..  
أنا أعرفُ أنني أتمنِّي أكثرَ ممَّا ينبغي..  
وأحلمُ أكثرَ من الحدِّ المسموح به..  
ولكنَّ..  
من له الحقُّ أن يحاسبني على أحلامي؟  
من يحاسب الفقراء؟..  
إذا حلموا أنهم جلسوا على العرشِ  
لمُدَّةِ خمسِ دقائق؟  
من يحاسب الصحراء إذا توحَّمتْ على جدول ماء؟  
هناكَ ثلاثُ حالاتٍ يصبح فيها الحلمُ شرعيًّا: حالةُ الجنونِ..  
وحالةُ الشعْر..  
وحالةُ التعرّفِ على امرأةٍ مدهشةٍ مثلكِ..  
وأنا أعاني - لحسن الحظِّ - من الحالات الثلاثِ..

٨

أتركي عشيرتكِ..  
واتبعيني إلى مغائري الداخليَّة  
أتركي قُبَعَةَ الورقِ..  
وموسيقى الجيركُ..  
والملابسَ التنكّريَّة..  
واجلسي معي تحت شَجَرِ البرقِ..  
وعبأةِ الشُّعْر الزرقاءِ..

سَأَغْطِيكَ بِمَعْطَفِي مِنْ مَطَرِ بِيروثِ  
وَسَأَسْقِيكَ نَبِيذًا أَحْمَرَ..  
مِنْ أَقْبِيَةِ الرَّهْبَانِ..  
وَسَأَصْنَعُ لَكَ طَبَقًا إِسْبَانِيًّا..  
مِنْ قِوَاعِ الْبَحْرِ..  
إِتْبَعِينِي - يَا سَيِّدَتِي - إِلَى شِوَارِعِ الْحَلْمِ الْخَلْفِيَّةِ..  
فَلَسَوْفَ أُطَلِّعُكَ عَلَى قِصَائِدَ لَمْ أَقْرَأْهَا لِأَحَدٍ..  
وَأَفْتَحُ لَكَ حَقَائِبَ دُمُوعِي..  
الَّتِي لَمْ أَفْتَحْهَا لِأَحَدٍ..  
وَلَسَوْفَ أُحِبُّكَ..  
كَمَا لَا أَحَبُّكَ أَحَدٌ..

## ٩

عِنْدَمَا تَدُقُّ السَّاعَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ  
وَتَفْقِدُ الْكُرَّةَ الْأَرْضِيَّةَ تَوَازَتَهَا  
وَيَبْدَأُ الرَّاقِصُونَ يَفَكِّرُونَ بِأَقْدَامِهِمْ..  
سَأَنْسَحِبُ إِلَى دَاخِلِ نَفْسِي..  
وَأَسْحَبُكَ مَعِي..  
فَأَنْتِ امْرَأَةٌ لَا تَرْتَبِطُ بِالْفَرَحِ الْعَامِ  
وَلَا بِالزَّمَنِ الْعَامِ..  
وَلَا بِهَذَا السَّيْرِكِ الْكَبِيرِ الَّذِي يَمُرُّ أَمَامَنَا..  
وَلَا بِتِلْكَ الطَّبُولِ الْوَثِيئَةِ الَّتِي تَقْرَعُ حَوْلَنَا..  
وَلَا بِأَقْنَعَةِ الْوَرَقِ الَّتِي لَا يَبْقَى مِنْهَا فِي آخِرِ اللَّيْلِ سِوَى رِجَالٍ مِنْ وَرَقٍ..

ونساءٍ من ورقٍ..

١٠

آه.. يا سيّدي

لو كان الأمر بيدي..

إذن لصنعتُ سنةً لكِ وحدكِ

تُفصّلين أيامها كما تريدين..

وتسندينَ ظهركِ على أسابيعها كما تريدينَ

وتتشمّسينَ..

وتستحمّينَ..

وتركضينَ على رمالِ شهورها..

كما تريدينَ..

آه.. يا سيّدي..

لو كانَ الأمرُ بيدي..

لأقمتُ عاصمةً لكِ في ضاحية الوقتِ

لا تأخذ بنظامِ الساعاتِ الشمسيّةِ والرمليّةِ ولا يبدأ فيها الزمنُ الحقيقيّ

إلا..

عندما تأخذُ يدُكِ الصغيرةُ قبولتّها..

داخلَ يدي..

١١

كلّ عامٍ وعيناكِ أيقوتتانِ بيزنطيّتانِ..

ونهداكِ طفلانِ أشقرانِ..

يتدحرجانِ على الثلجِ..  
كلَّ عامٍ.. وأنا متورطٌ بكِ..  
ومُلاحقٌ بتهمة حبكِ..  
كما السماءُ مُتَّهَمَةٌ بالزُّرْقَةِ  
والعصافيرُ مُتَّهَمَةٌ بالسَّقَرِ  
والشَّعَّةُ مُتَّهَمَةٌ بالإستدارة..  
كلَّ عامٍ وأنا مضروبٌ بزلازلِكُ..  
ومبللٌ بأمطارِكُ..

ومحفورٌ - كالإناء الصينيِّ - بتضاريس جسمِكُ  
كلَّ عامٍ وأنتِ.. لأ أدري ماذا أُسمِّيكِ..  
إختاري أنتِ أسماءِكِ..  
كما تختارُ النقطةُ مكانها على السطرِ  
وكما يختارُ المشطُ مكانه في طيَّات الشَّعرِ..  
وإلى أن تختاري إسمِكِ الجديدُ  
إسمحي لي أن أناديكِ:  
"يا حبيبتي" ..

# إلى حبيتي في رأس السنة..

١

أنقلُ حبيّ لكِ من عامٍ إلى عامٍ..  
كما ينقل التلميذ فروضه المدرسيّة إلى دفترٍ جديدٍ  
أنقل صوتكِ.. ورائحتكِ.. ورسائلكِ..  
ورقمَ هاتفكِ.. وصندوقَ بريدكِ..  
وأعلّقها في خزانة العام الجديد..  
وأمنحكِ تذكّرةً إقامة دائمة في قلبي..

٢

إنّني أُحبُّكِ..  
ولن أترككِ وحدكِ على ورقة ٣١ ديسمبر أبدًا  
سأحملكِ على ذراعيّ..  
وأتنقّل بكِ بين الفصول الأربعة..  
ففي الشتاء، سأضع على رأسكِ قبّعةً صوف حمراء..  
كي لا تبردي..  
وفي الخريف، سأعطيكِ معطفَ المطر الوحيد الذي أملكه..  
كي لا تتبلّلي..  
وفي الربيع..

سأتركك تمامين على الحشائش الطازجه..  
وتتناولين طعامَ الإفطار..  
مع الجنادب والعصافير..  
وفي الصيف..  
سأشتري لكِ شبكةَ صيدٍ صغيره..  
لتصطادي المحار..  
وطيورَ البحر..  
والأسماكَ المجهولةَ العنوينِ..

### ٣

إِنِّي أُحِبُّكَ..  
ولا أريد أن أربطكِ بذاكرة الأفعال الماضية..  
ولا بذاكرة القطارات المسافرة..  
فأنتِ القطارُ الأخيرُ الذي يسافر ليلاً ونهارًا فوق شرايين يدي..  
أنتِ قطاري الأخير..  
وأنا محطَّتكَ الأخيرة..

### ٤

إِنِّي أُحِبُّكَ..  
ولا أريد أن أربطكِ بالماء.. أو بالريحِ  
أو بالتاريخ الميلادي أو الهجري..  
ولا بحركات المدِّ والجزر..  
أو ساعات الخسوف والكسوفِ

لا يهْمُنِي ما تقوله المراصدُ..  
وخطوطُ فناجين القهوةِ..  
فعيناكِ وحدهما هما النُبوءةُ  
وهما المسؤولتانِ عن قَرَح هذا العالمِ..

٥

أُحِبُّكَ..  
وأُحِبُّ أن أربطكِ بزمني.. ويطقسني..  
وأجعلكِ نجمةً في مداري..  
أريد أن تأخذي شكلَ الكلمة..  
ومساحة الورقة..  
حتّى إذا نشرْتُ كتابًا.. وقرأه الناس..  
عثروا عليكِ، كالوردة في داخله..  
أريدُ أن تأخذي شكلَ فمي..  
حتّى إذا تكلمتُ..  
وجدكِ الناسُ تستحمّينَ في صوتي..  
أريدكِ أن تأخذي شكلَ يدي..  
حتّى إذا وضعتها على الطاولة..  
وجدكِ الناسُ نائمةً في جوفها..  
كفراشةٍ في يد طفل..  
إنّني لا أحترفُ طقوسَ التهنة..  
إنّني أحترفُ العشق..  
وأحترفُكِ..

يتجوّل هو فوق جلدي..  
وتتجوّلين أنتِ تحت جلدي..  
وأما أنا..  
فأحمل الشوارع والأرصفة المغسولة بالمطر..  
على ظهري.. وأبحثُ عنكِ..

٦

لماذا تتأمّرين عليّ مع المطر؟ ما دمتِ تعرفين..  
أنّ كلَّ تاريخي معكِ.. مقترنٌ بسقوط المطر..  
وأنّ الحساسيّة الوحيدة التي تصيبني..  
عندما أشمّ رائحة نهديكِ..  
هي حساسيّة المطر..  
لماذا تتأمّرين عليّ؟ ما دمتِ تعرفين..  
أنّ الكتابَ الوحيد الذي أقرؤه بعدكِ..  
هو كتابُ المطر..

٧

إنني أُحبُّكِ..  
هذه هي المهنة الوحيدة التي أتقنها..  
ويحسدني عليها أصدقائي.. وأعدائي..  
قَبْلَكَ.. كانتِ الشمسُ، والجبالُ، والغاباتُ، في حالة بطالة..  
واللغةُ بحالة بطالة.. والعصافيرُ بحالة بطالة..  
فشكراً لأنكِ أدخلتيني المدرسه..

وشكرًا.. لأنك علّمتني أبديّة العشق..  
وشكرًا.. لأنك قبلت أن تكوني حبيبتي..

# هل تسمحين لي أن أصطاف؟

١

أبيها المرأة التي تستوطنُ جهازي العصبي..

هل تسمحين لي أن أصطافَ كما يصطاف الآخرون؟

وأتمتعُ بأيَّامِ الجَبَلِ..

كما يتمتعُ الآخرون..

الجَبَلُ مروحةٌ حريـرِ إسبانيَّة..

وأنتِ مرسومةٌ عليها..

وعصافيرُ عينيكِ..

تأتي أفواجًا أفواجًا من جهة البحر..

كما تطير الكلماتُ من أوراقِ دفترٍ أزرقٍ..

هل تسمحينَ لذاكرتي أن تكسرَ حصارَ رائحتك؟

وتشمَّ رائحةَ الحَبَقِ، والوزَّالِ، والزعترِ البرِّيِّ..

هل تسمحين لي..

أن أجلسَ على الشرفة الصيفيَّةِ دقيقةً واحدةً؟

دون أن يتسلَّقَ صوتكِ كعريشةٍ زرقاءُ

على درابزين بيتنا..

ودونَ أن أجدكِ في قهوتي الصباحيَّةِ؟..

٢

لقد اشتغلتُ تسعةَ شهورٍ..  
عند نهديكِ المتغطرسين!!  
ولي الحقُّ - ككلِّ عمال العالم - أن أنال إجازتي السنويَّة..  
كان أجري قليلاً..  
وحظِّي قليلاً..  
وراحتي مُشَقَّقَتين..  
من كثرة الشغل في مناجم الذهب.  
حتَّى في أوَّل أيَّار..  
ذهبتُ إلى عملي كبقية الأيَّام  
وحرصتُ نهديكِ النائمين..  
كبقية الأيَّام..  
وحَمَمْتُهُمَا.. وغطَّيْتُهُمَا..  
وقرأت لهما قصَّةَ ساندريل..  
كبقية الأيَّام..  
حتَّى القروش القليلة التي ادَّخرتها  
اشتريتُ بها لهما..  
قَطَائِرَ اللوز والعسل..  
ولكنَّ نهديكِ..  
- ككلِّ أولاد العائلات الإقطاعيَّة - إعتبراني مَمْلُوكًا لهما..  
من عهد أوَّل ملكٍ من مُلُوكِ الأُسرة التَّهْدِيَّة..  
وَجَلَداني تسعينَ جلدَةً على ظهري..  
وتسعينَ جلدَةً على صدري..  
حتَّى أسقطتُ دعوايَ عنهما..

وعدت إلى العمل..

٣

عَلَّقْتُكَ فِي خزانة ثيابي في بيروت..  
وأخذتُ المفتاحَ معي..  
خبَّأتُ وجهك تحت قمصاني ومناديلي..  
وخرجتُ على أطراف أصابعي..  
قبل أن تستيقظي..

.....

... واليوم.. وأنا أتمشَّى على طُرقاتِ الجبلِ..  
رأيتكِ تتكئينَ على سنبلة قمحٍ..  
وتتسابقين مع عصفور صباحي..  
وتربطين شعركِ بغمامةٍ بُرْتُقالِيَّةٍ...  
ماذا تفعلينَ هنا؟  
ومن أعطاكِ عنواني في الجَبَلِ؟  
أبيتها الواحدةُ التي اصطدمتُ بعشقي..  
فصارتِ امرأةً..  
واصطدمتُ بطقسِ نهدِيها الإِسْتوائِيِّينَ..  
فعرفتُ حجمَ رجولتي..  
منحْتُكَ البركةَ والتكاثُرَ..  
وجعلتُكَ كماءِ البحرِ.. واحدةً.. ومتعدِّدَةً..  
ووضعتُ يدي على بياضِ فخذيكِ..  
فأصبحتِ قبيلَةً..

ماذا تفعلينَ هنا؟

حتَّى الغابة..

تذكّرني كيف كنتِ تمشّطينَ شعركِ..

فأبكي..

حتَّى القمّة..

تذكّرني بارتفاع نهديكِ عن سطح البحر..

فأدوخُ..

## ع

هل بوسع رجلٍ يُحبُّكِ مثلي..

أن يصطاف اصطيافًا طبيعيًّا؟

هل بوسعي أن أنفصلَ عن المجموعة الشمسيّة

التي تدور منذ ملايين السنين حول عينيكِ

وأصطافَ في إقليمٍ آخر..

لا يخضعُ لسلطانكُ؟

هل يمكنني أن أمارسَ هذا الإختيار الصعبَ؟

فأجلسُ كالمجاذيب على كرسيِّ هزازٍ..

أقرأ القصصَ البوليسيّة..

وأشرب المياة المعدنيّة..

وأمتحن ثقافتني بالكلمات المتقاطعة..

الإصطيافُ زمنٌ مسطحٌ..

وأنا مرتبط بزمانكِ رغم كثرة تنوّعاته..

والإصطيافُ فراعٌ.. وأنا ممتلىءٌ بكِ..

والإصطيفاف تغيير..

وأنا لا أريد أن أغيّرِكَ..

بكنوز الدنيا..

قولي لي..

من هو الأبله الذي اخترع كلمة الإصطيفاف؟

فرماك كخاتم الذهب على رمال بيروت..

وفرض عليّ الاقامة الجبريّة،

تحت شجرة النوم..

ربّما كان لا يعرف أنّ الشجرة..

تبقى ألف سنة على رأس الجبل

ولا تصبح امرأة..

في حين أنك في اللحظة التي

تدخلين فيها إقليم صدري..

تصبحين شجرة..

# تأخذين في حقائبكِ الوقتَ وتسافرين..

١

تجوّلتُ في شوارع وجهكِ..  
أيتها المرأة التي كانت في سالف الزمان حبيبتي..  
سألتُ عن فندقِ القديمِ..  
وعن الكشكِ الذي كنتُ أشتري منه جرائدي..  
وأوراقَ اليناصيب التي لا تريحُ..  
لم أجد الفندقَ.. ولا الكشكُ..  
وعلمتُ أنّ الجرائدُ..  
توقّفتُ عن الصدور بعد رحيلكُ..  
كان واضحًا أنّ المدينة قد انتقلتُ..  
والأرصفة قد انتقلتُ..  
والشمس قد غيّرتُ رقم صندوقها البريديّ  
والنجوم التي كنتُ نستأجرها في موسم الصيف  
أصبحتُ برسم التسليمِ..  
كان واضحًا.. أنّ الأشجار غيّرتُ عناوينها..  
والعصافير أخذتُ أولادها..  
ومجموعة الأسطوانات الكلاسيكيّة التي تحتفظ بها..  
وهاجرتُ..

والبحر رمى نفسه في البحر.. ومات..

## ٢

تحوّلتُ في أزقة صوتك الممطرة  
بحثًا عن مظلةٍ تقيني من الماء..  
كان في يدي خريطة المدينة التي أحببتُك فيها..  
وأسماء الأندية الليلية التي راقصتُك فيها..  
ولكنَّ شرطيَّ السَّير، سَخِر من بلاهتي  
وأخبرني.. أنّ المدينة التي أبحثُ عنها.  
قد ابتلعها البحرُ..  
في القرن العاشر قبل الميلاد..

## ٣

ذهبتُ إلى المحطّات التي كنتُ أستقبلك فيها..  
وإلى المحطّات.. التي كنتُ أودّعك منها..  
سألتُ عنك في عَرَبة الدرجة الأولى..  
المخصّصة للنوم..  
فوجدتُ على باب مقصورتك..  
عشراتٍ من سلال الأزهار..  
ولافتةً مطبوعةً بكلّ اللغات: "الرجاء عدم الإزعاج"..  
وفهمتُ أنّك مسافرة.. بصحبة رجل آخر..  
قدّم لك البيت الشرعي  
والجنس الشرعي

والموتَ الشرعيّ..

ع

أيتها المرأةُ التي كانت في سالف الزمان حبيبتِي  
لماذا تضعين الوقتَ في حقائبِكِ..

وتسافرين؟

لماذا تأخذين معكِ أسماءَ أيامِ الأسبوعِ؟

وخرطةَ الشهور والأعوامِ..

وكرويةَ الأرضِ..

إنني لا أستوعب خروجكِ من دورتي الدمويَّةِ

كما لا تستوعب السمكةُ خروجها من الماءِ..

أنتِ مسافرةٌ في دمي..

وليس من السهل أن أستبدل دمي بدمٍ آخرِ..

ففصيلاً دمي نادرةٌ..

كالطيور النادرةُ..

والنباتات النادرةُ..

والمخطوطات النادرةُ..

وأنتِ المرأةُ الوحيدةُ..

التي يمكنُ أن تتبرَّع لي بدمها..

ولكنكِ دخلتِ عليَّ كسائحةٍ..

وخرجتِ من عندي كسائحةٍ..

كانت كلمائكِ الباردةُ..

تتطايرُ كفتافيت الورقِ..

وكانت عواطفكِ ..  
كاللؤلؤ الصناعيِّ المستورد من اليابانُ ..  
وكانت بيروت التي اكتشفتها معكِ ..  
وأدمنتُها معكِ ..  
وعشَّتها بالطول والعرض .. معكِ ..  
ترمي نفسها من الطابق العاشر ..  
وتنكسرُ .. ألفَ قطعة ..

## ٥

توقَّفي عن النموِّ في داخلي ..  
أبيتها المرأة ..  
التي تتناسلُ تحت جلدي كغابة ..  
ساعديني ..  
على كسر العادات الصغيرة التي كوَّنتها معكِ ..  
وعلى اقتلاع روائحكِ ..  
من قماش الستائر ..  
ورُفوفِ الكُتب ..  
وبلّورِ المزهريات ..  
ساعديني ..  
على تَذَكُّرِ اسمي الذي كانوا ينادونني به في المدرسة ..  
ساعديني ..  
على تَذَكُّرِ أشكالِ قصائدي ..  
قبل أن تأخذَ شكلَ جسدي ..

ساعديني..  
على استعادة لُغتي..  
التي فَصَلْتُ مفرداتيها عليك..  
ولم تعدْ صالحَةً لسواكِ من النساءِ..

٦

دُلِّيني..  
على كتابٍ واحدٍ لم يكتبوكِ فيه..  
وعلى عصفورٍ واحدٍ..  
لم تعلِّمهُ أُمَّهُ تهجِيَةً اسمكِ..  
وعلى شجرةٍ واحدةٍ..  
لا تعتبركِ من بين أوراقِها..  
وعلى جدولٍ واحدٍ..  
لم يلحَسِ السُّكَّرَ عن أصابعِ قَدَمَيْكِ..

٧

ماذا فعلتِ بنفسكِ؟..  
أَيُّهَا المَلِكَةُ..  
التي كانتِ تتحكَّمُ بحركة الريحِ..  
وسُقُوطِ المطرِ..  
وطُولِ سنابلِ القمحِ..  
وعددِ أزهارِ المارغريتِ..  
أَيُّهَا المَلِكَةُ..

التي كان نهداها يصنعانِ الطَّفْسُ..

ويسيطرانِ..

على حركةِ المدِّ والجزرِ..

وإليهما.. كانت تتَّجهُ المراكبُ..

لتتزوَّدَ بالعاجِ.. والنبيدُ..

وفاكهة الأناناسِ!!

ماذا فعلتِ بنفسكِ..

أنتِها السيِّدَةُ التي وقع منها صوتُها على الأرضِ..

فأصبحَ شَجَرَهُ..

وَوَقَعَ ظلُّها على جَسَدِي..

فأصبحَ نافورةَ ماءٍ..

لماذا هاجرتِ من صدري؟..

وصرتِ بلا وطنٍ..

لماذا خرجتِ من رَمَنِ الشُّعْرُ؟

واخترتِ الزمنَ الصَّيِّقُ..

لماذا كسرتِ زجاجةَ الحبرِ الأَخْضَرُ..

التي كنتِ أرسُمُكِ بها..

وصرتِ امرأةً..

بالأبيضِ..

والأسودِ..

# الحُبُّ في الإِقامة الجَبْرِية..

١

أستأذنيك بالإنصراف..  
فالدُّمُّ الذي كنتُ أحسبُ أنَّه لا يصبح ماءً..  
أصبح ماءً..  
والسماءُ التي كنتُ أعتقد أنَّ رُجَّاجَها الأزرق  
غيرَ قابلٍ للكسر.. إنكسرت..  
والشمسُ..  
التي كنتُ أعلِّقُها كالخَلْقِ الإسبانيِّ  
في أُذُنَيْكَ..  
وقعتُ مئِي على الأرض.. وتهشَّمتُ..  
والكلماتُ..  
التي كنتُ أغطِّيكَ بها عندما تنامينُ..  
هربتُ كالعصافير الخائفة..  
وتركتُكَ عاريةً..

٢

أستأذنيك بالخروج.. من هذا المَطَبِّ الهوائيِّ  
بين نهدَيْكَ..

فلم تُعَدُّ عندي شهوةً لمناقشتك..  
أو لمضاجعتك..  
لم أعد متحمسًا للهجوم على أيِّ شيءٍ..  
أو للدفاع عن أيِّ شيءٍ..  
فقد سقطنا في الرَّمَن الدائريِّ..  
حيثُ المسافةُ بين يدي وخاصرتك..  
لا تتغيَّر..  
وبين أنفي ومسامات جلدك..  
لا تتغيَّر..  
وبين زنزانيةٍ فَحْدَيْكَ..  
وساحةٍ إعدامي..  
لا تتغيَّر..

### ٣

أستاذنك..  
بالخروج من هذا الزمن الضيق..  
رَمَن الجنسِ المَعْلَبِ..  
والعواطفِ الجاهزةِ كإفطار الصباحِ  
والقُبُلَات التي أسددها مُرغَمًا..  
ككميالةٍ مستحقَّةِ الدُفْعِ..

### ٤

أستاذنك..

بأخذ إجازة طويلة.. طويلة..

فلقد تعبْتُ..

من حالة اللاشوق.. واللاْحُبِّ.. التي أنا فيها..

وتعبْتُ من هذه الشقَّة المفروشة..

التي صارتْ عواطفي مرْبعة كجدرانها..

وشهوتي مستطيلة كدهاليزها..

وطُموحي واطناً كسقفها..

٥

أريدُ أن أتظاهرَ ضدَّ حبِّك الفاشيستيِّ

وأطلقَ الرصاصَ..

على قصرِكِ..

وحَرْسِكِ..

وعَرَبَتِكِ البُورجوازيَّةِ الخيولِ..

أريدُ.. أن أحتجَّ على سلطتكِ السرمديَّةِ..

وعلى الدُستورِ..

الذي سميتِ به نفسكِ..

مَليكةً.. طولَ الحياةِ..

أريدُ أن أطلقَ الرصاصَ..

على صورتكِ الزيتيَّةِ..

المعلَّقةِ في صالة العرشِ..

وعلى كلِّ الشعراءِ،

والنبلاءِ،

والسفراء..

الذين يدفعون لعينيك الجزية..

ويسقون نهديك..

حليب العصافير..

٦

أريد أن أطلق الرصاص..

على ملابسك المسرحية..

وعلى عُدّة الشغل التي تستعملينها في التشخيص..

على الأخضر.. والليلكي..

على الأزرق.. والبرتقالي..

على عشرات القوارير التي جمعت فيها فصائل دمي..

على غابة الخواتم والأساور..

التي استعملتها لابتزازي..

على الأحزمة الجلدية العريضة..

المصنوعة من جلد التمساح..

والتي استعملتها في جلدي..

على دبابيس الشعر..

ومبارد الأظافر..

والسلاسل المعدنية..

التي لجأت إليها..

لأخذ اعترافاتي..

## ٧

أريدُ أن أطلقَ الرصاصَ..  
على صوتِكِ المتسلِّلِ عَبْرَ أسلاكِ الهاتفِ  
فلم أعدْ مهتمًّا بهوايةِ جَمْعِ العصافيرِ..  
أريدُ أن أطلقَ الرصاصَ..  
على حروفِ اسمِكِ..  
فلم أعدْ مهتمًّا..  
بهوايةِ جمعِ الأحجارِ النادرةِ..  
أريدُ أن أطلقَ الرصاصَ..  
على كلِّ قصائدي.. التي كتبتُها لكِ..  
وعلى كلِّ الإهداءاتِ الهيستيريَّةِ..  
التي صدرتْ عني..  
في ساعاتِ الحُبِّ الشديدِ..  
أو..  
في ساعاتِ الغباءِ الشديدِ..

## ٨

أريدُ أن أذهبَ إلى البحرِ..  
حيثِ الشواطئُ مفتوحةٌ ككتابٍ أزرقٍ  
ففمي.. أصبحَ كغابةِ الفِطْرِ..  
من قَلَّةِ الشمسِ..  
وعواطفي أصبحتُ كالمخطوطاتِ القديمةِ..

من قلة الزائرين..  
وقلة القراءه..

٩

أريد..  
أن أكسر دائرة الطباشير..  
وأُهي هذه الرحلة اليومية..  
بين شفتك العليا.. وشفتك السفلى..  
بين نهدك الأيمن.. ونهدك الأيسر..  
بين جسدك البارد كمدن النحاس  
وبين جنوني..

١٠

أريد أن أحتج على شيء ما..  
أن أصطدم بشيء ما..  
أن أنتحر من أجل شيء ما..  
فلم يعد عندني ما أفعله..  
سوى أن ألب الورق مع صجري  
هو يخسر.. وأنا أخسر..  
هو يضجر.. وأنا أضجر  
هو يخبرني أنك كنت حبيته..  
وأنا أخبره أنك كنت حبيتي..  
هو يعطيني مسدسه لأنتحر..

وأنا أطلعه على مكاتيبك القديمة..  
فيقتل نفسه..  
ويقتلني..

١١

أستأذن في أن أقتلك..  
إتني أعرف أن كل غمام السماء..  
ستذرف دموعها عليك..  
وكل الحمام ستفرش ريشها الأبيض.. تحت رأسك  
وكل شقائق النعمان..  
ستطلع من حقول جسدك..  
ولكن برغم هذا..  
سأبقى مصمماً على قتلك..  
لا من أجلي وحدي..  
ولكن من أجل كل الأسرى.. والجرحى.. ومشوهي الحُب..  
ومن أجل كل الذين حكمتهم بالأشغال الشاقة المؤبدة..  
وفرصت عليهم..  
أن ينقلوا الرمل بملاعق الشاي..  
من نهدك الأيمن.. إلى نهدك الأيسر..  
من نهدك الأيسر.. إلى نهدك الأيمن..  
.....  
.....  
ولا يزالون يشتغلون..

ولا يزالون يشتغلون..

و.. لا.. ي.. ز.. ا.. ل.. و.. ن..

ي.. ش.. ت.. غ.. ل.. و.. ن..

# أُمُّ الْمُعْتَزِّ..

١

عندما كانتُ بيروتُ تموتُ بين ذراعيَّ  
كسمةٍ اخترقها رمحُ  
جاءني هاتفٌ من دمشق يقولُ:  
"أُمَّكَ ماتتُ".

لم أستوعب الكلمات في البدايَّة  
لم أستوعب كيف يمكن أن يموت السَّمَكُ كُلُّهُ  
في وقتٍ واحدٍ..

كانت هناك مدينة حبيبة تموتُ.. إسمها بيروتُ  
وكانت هناك أُمُّ مدهشة تموتُ.. إسمها فائزة..  
وكان قدري أن أخرج من موتٍ..  
لأدخل في موتٍ آخرٍ..  
كان قدري أن أسافرَ بين موتينٍ..

٢

كلُّ مدينةٍ عربيَّةٍ هي أُمِّي..  
دمشق، بيروت، القاهرة، بغداد، الخرطوم،  
الدار البيضاء، بنغازي، تونس، عمَّان، الرياض، الكويت،

الجزائر، أبو ظبي وأخواتها..  
هذه هي شجرة عائلتي..  
كلُّ هذه المدائن أنزلتني من رَجِمِهَا  
وأرضعني من ثديها..  
وملأت جيوبي عنبًا، وتينًا، وبرقوقًا..  
كلُّها هَزَّتْ لي نخلها.. فأكلتُ..  
وفتحتُ سماواتها لي.. كراسه زرقاء..  
فكتبتُ..

لذلك، لا أدخلُ مدينةً عربيَّةً.. إلا وتناديني: "يا وُلدي"..  
لا أطرقُ بابَ مدينةٍ عربيَّةٍ..  
إلا وأجدُ سريرَ طفولتي بانتظاري..  
لا تنزفُ مدينةٌ عربيَّةٌ إلا وأنزفُ معها..  
فهل كان مصادفةً أن تموت بيروت..  
وتموت أمِّي في وقتٍ واحدٍ؟..

### ٣

يعرفونها في دمشقَ باسم (أمُّ المعتز).  
وبالرغم من أنَّ اسمها غير مذكور في الدليل السياحيِّ  
فهي جزءٌ من الفولكلور الشاميّ..  
وأهميَّتها التاريخيَّة لا تقلُّ عن أهميَّة (قصر العظم) و(قبر صلاح الدين) و(مئذنة  
العروس) ومزار (محي الدين بن عربي).  
وعندما تصلُ إلى دمشق..

فلا ضرورة أن تسأل شرطي السير عن بيتها.. لأنَّ كلَّ الياسمين الدمشقيِّ  
يَهْرَهُرُ فوق شُرْفَتِهَا، وكلَّ القُلِّ البلدي يترى في الدلال بين يديها.. وكلَّ  
القطط ذاتِ الأصلِ التركيِّ..  
تأكل.. وتشرب.. وتدعو ضيوفها.. وتعقد اجتماعاتها..  
في بيت أمِّي..

## ٤

نسيْتُ أن أقول لكم، إنَّ بيت أمِّي كان معقلاً للحركة الوطنيَّة في الشام عام  
١٩٣٥. وفي باحة دارنا الفسيحة كان يلتقي قادة الحركة الوطنيَّة السوريَّة  
بالجماهير. ومنها كانت تنطلق المسيرات والتظاهرات ضدَّ الإنتداب  
الفرنسيِّ..  
وبعد كلِّ اجتماع شعبيِّ، كانت أمِّي تُحصي عدد ضحاياها من أصص الزرع التي  
تحطَّمت.. والشتولِ النادرة التي انقصفت.. وأعوادِ الزنبق التي انكسرت..  
وعندما كانت تذهب إلى أبي شاكيةً له خسارتها الفادحة، كان يقول لها، رحمه  
الله، وهو يبتسم: (سجّلي أزهارك في قائمة شهداء الوطن.. وعَوِّضِكِ على  
الله..) وتختجل أمِّي من سخريَّة أبي المبطَّنة، ولكنَّها في نفس الوقت، تشعر  
بهزَّة عنفوان، لأنَّ بيتها صار بيتَ الوطنيَّة.. ولأنَّ أزهارها ماتت من أجل  
الحرِّيَّة..

## ٥

أمِّي.. لا تتعاطى العلاقات العامَّة، وليس لها صورة واحدة في أرشيف  
الصحافة.

لا تذهب إلى الكوكتيلات وهي تلفُّ ابتسامتها بورقة سولوفان..

لا تقطع كعكة عيد ميلادها تحت أضواء الكاميرات..  
لا تشتري ملابسها من لندن وباريس، وترسل تعميماً بذلك إلى من يهّمه  
الأمر..  
لا توزّع صورها كطوايع البريد على محرّرات الصفحات الاجتماعيّة..  
ولم يسبق لها أن استقبلت مندوبة أيّ مجلة نسائيّة، وحدّثتها عن حبّها الأوّل..  
وموعدها الأوّل.. ورجلها الأوّل..  
فأمّي (دقّة قديمة).. ولا تفهم كيف يكون للمرأة حبّ أوّل.. وثانٍ.. وثالث..  
وخامسٍ عَشْر..  
أمّي تؤمن برَبٍّ واحد.. وحبيبٍ واحد.. وحبٍّ واحد..

٦

قهوة أمّي مشهورة..  
فهي تطحنها بمطحنتها النحاسيّة فنجّات.. فنجّات..  
وتغليها على نار الفحم.. ونار الصبر..  
وتعطرّها بحبّ الهال..  
وترشُّ على وجه كل فنجان قطرتين من ماء الزهر..  
لذلك تتحوّل شرفة منزلنا في الصيف..  
إلى محطةٍ تستريح فيها العصافير..  
وتشربُ قهوتها الصباحيّة عندنا..  
قبل أن تذهبَ إلى الشغل..

٧

وزارة زراعة كانت هذه المرأة..

ومن كثرة الأزهار، والألوان، والروائح التي أحاطت بطفولتي كنتُ أتصوّر أن  
أمّي.. هي موظّفة في قسم العطور بالجنّة..

٨

بموت أمّي..  
يسقطُ آخرُ قميصِ صوفيٍّ أُعطيتُ به جسدي آخرُ قميصِ حنانٍ..  
آخرُ مظلةٍ مطرٍ..  
وفي الشتاء القادم..  
ستجدونني أتجوّل في الشوارع عاريًا..

٩

كلُّ النساءِ اللواتي عرفتهنَّ  
أحببني وهنَّ صاحياتٌ..  
وحدها أمّي..  
أحببني وهي سكرى..  
فالحبُّ الحقيقيُّ هو أن تسكّر..  
ولا تعرف لماذا تسكّر..

١٠

أمّي متفشيّةٌ في لغتي..  
كلّما نسيْتُ ورقةً من أوراقِي في صحن الدار.  
رستّها أمّي بالماء مع بقيةِ أحواضِ الزرع..

فتحوّلت الألفُ إلى (امرأة)..  
والباءُ إلى (بنفسجة)  
والدالُّ إلى (دالية)  
والراءُ إلى (رمانة)  
والسينُ إلى (سوسنة) أو (سمكة) أو (سُنُونُوة).  
ولهذا يقولون عن قصائدي إنّها (مُكَيَّفَةُ الهوائِ).. ويشترونها من عند بائع  
الأزهار..  
لا من المكتبة..

## ١١

كلّما سألوها عن شعري، كانت تجيب: "ملائكة الأرض والسماء.. ترضى عليه".  
طبعا.. أمّي ليست ناقدة شعر موضوعيّة.. ولكنها عاشقة. ولا موضوعيّة في  
العشق.  
فيا أمّي. يا حبيبتي. يا فائزة..  
قولي للملائكة الذين كلّفْتهم بحراستي خمسين عامًا، أن لا يتركوني..  
لأنّني أخاف أن أنام وحدي..